الرؤية الإسلامية في خلق العالم

م.م سعده طعمة محسن علي
saada90@uomustansiriyah.edu.iq
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية/ قسم علوم القرآن

الملخص

تُعَدُّ مسألةُ خلق الكون من أقدم وأعمق القضايا التي شغلت الفكر الإنساني على مرّ العصور، إذ سعى الإنسان منذ وجوده إلى معرفة أصل الكون وكيفية نشأته، وتنوّعت التفسيرات التي قُدّمت حول هذه المسألة تبعًا لاختلاف المذاهب الفكرية والاتجاهات الأيديولوجية، فهناك من فسّر نشأة الكون من منظورٍ علميٍّ ماديٍّ يعتمد على القوانين الطبيعية والنظريات الفيزيائية، في حين تناولها الفلاسفة من زاويةٍ عقليةٍ تأمليةٍ، كلٌّ بحسب تصوره لطبيعة الوجود ومصدره، وفي مقابل تلك الرؤى المتعددة، جاءت الرؤية الإسلامية لتقدّم تصورًا شاملًا ومتكاملًا عن خلق الكون، منطلقةً من مبدأ توحيد الله سبحانه وتعالى بوصفه الخالق المدبّر لكل شيء، حيث استنبط علماء الإسلام تفاصيل هذه الرؤية من القرآن الكريم والسنة النبوية، مؤكدين أن الكون لم يخلق عبثًا، بل لحكمةٍ إلهيةٍ غائيةٍ ساميةٍ، ويهدف هذا البحث إلى توضيح التصور الإسلامي لخلق الكون، وبيان تفرّده عن التصورات الفلسفية والعلمية الأخرى، من خلال تحليل النصوص الشرعية واستنباط الدلالات التي تُظهر انسجام الرؤية الإسلامية مع العقل والعلم، وتكاملها في تفسير نشأة الكون ونظامه وغايته.

الكلمات المفتاحية: الرؤية، الإسلام ، الخلق، العالم

The Islamic vision of the creation of the world

Abstract

The question of the creation of the universe has preoccupied human thought throughout the ages. Humans have offered different interpretations of how the universe was created. These differences stem from the ideologies from which they emerged. Some are linked to natural material science, while others are linked to philosophers, each group according to its own perception. There is a comprehensive Islamic vision stemming from the oneness of God Almighty, which explains the creation of the universe. Islamic scholars derived the creation of the universe from the Qur'an and Sunnah. This research aims to explain this Islamic vision.

Keywords: vision, Islam, world

المقدمة

الحمدُ للهِ رب العالمين، وصلى اللّه على خير خَلقه ورُسلهِ الصادق الأمين وعلى آله الطاهرين وصحبهِ الميامين، ثمَّ الرحمة الوافرة على خلفائهم وهم العلماء العِظام الذين فضّل الله مدادَهم على دِماء الشهداء، وجعلهم ورثة الأنبياء.

أما بعد:

لقد أرسل اللّهُ تعالى رُسُلَهُ، وأنزل كُتُبَهُ، ليهديَ الإنسان إلى النهج القويم الذي يضمن له الرقيَّ في مجالات المعرفة والاجتماع والاقتصاد، وليجعلَ حياتهُ قائمةً على الكمال والسعادة، فأعظمُ ما في هذا الوجود هو الإنسان، وأجملُ ما في الإنسان أنَّه كائنٌ مفكّرٌ يمتلك قدرةً على التأمل والتدبر.

فالكونُ كلّهُ، بما يحويه من كواكبَ ونجومٍ وأفلاكٍ وشُهُبٍ ونيازكٍ وجبالٍ وبحارٍ ونباتٍ وماءٍ، يُسبِّح بحمد اللّه، غير أنّه لا يفكّر، إذْ خُصَّ بميزةٍ واحدة هي التسبيح، أما الإنسان فقد جمع اللّهُ فيه ميزتين عظيمتين: التسبيح والتفكير، فصار بذلك سيّد المخلوقات ومحلّ التكريم الإلهي. ومن أجل هذه المنزلة الرفيعة، سخّر اللّهُ له ما في السماوات والأرض، ليكون الكونُ كلّه في خدمته، ويكون هو المكلّف بالتأمل في هذا الجمال الكوني الفريد.فهو يفكر في عظمة الخلق، وفي دقة النظام، وفي سَعة الكون وبهائه، حتى يهتدي بعقله إلى خالقه، ويدرك أن وراء هذا الإعجاز خالقًا عظيمًا أحكم صنعه وأبدع تكوينه.وهكذا، فإنّ الإنسان بتفكيره يصل إلى معرفة الحق، وبعقله يزداد إيمانًا بعظمة الخالق، وبذلك تتحقق غاية الخلق: أن يعرف الإنسان ربَّهُ، ويسير في الحياة على بصيرةٍ وعلمٍ وهُدى.

إنَّ اللّه سبحانه أمتدح في كتابهِ الكريم أمرين: أمتدح بديع صنعه في هذا الكون إذ يقول تعالى: { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ {٤} (الملك، الآيتان: ٣،٤). فالله تعالى خلق السماوات والأرض بعضها فوق بعض بلا تفاوت اي بلا اختلاف وخلل (أبو جعفر الطبري ص٦٦) وكذلك امتدح اللّه سبحانه في كتابه الكريم الذين يتفكّرون في خلق هذا الكون وذلك في الآيات من سورة آل عمران، يقول تعالى: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (سورة آل عمران/ الآية: ١٩١)، فإذا كانت آيات الغيب تقتضي الإيمان، وآيات القصص تقتضي العبرة، وآيات الأمر تقتضي

الطاعة، وآيات النهي تقتضي الترك؛ فماذا تقتضي آيات الكون التي تزيد في مجموعها عن ألف آية كريمة؟إنها تقتضي التفكُّر بقدرة الخالق، وعظمة الخالق، ووحدانية الخالق، وعبودية الخالق.يقول تعالى: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (سورة العنكبوت، الآية: ٢٠).

المطلب الأول: نظريات العلماء حول خلق العالم

منذ فجر البشرية، ومنذ اللحظة التي بدأ فيها الإنسان يتأمل المعاني المجرّدة، راح يسعى — عبر الدين والفلسفة — إلى الإجابة عن السؤال الأزلي: من أين جئنا؟

وكانت الفن هو المغامرة الأولى في محاولة الإجابة عن هذا السؤال الكبير، إذ عبّر الإنسان القديم من خلال الأساطير والرموز والنقوش والمنحوتات عن تصوّراته الأولى للوجود والخلق. كانت تلك الفنون امتدادًا للأديان البدائية التي جمعت بين المعتقد والخيال والتعبير الفني في نسيج واحد.

ثمّ، ومع بزوغ فجر المعلمين الكبار مثل بوذا وكونفوشيوس، بدأ الفن ينفصل تدريجيًا عن الدين، وظهرت الأديان الشرقية الكبرى — كالبوذية والكونفوشيوسية — التي تميّزت بغياب اللاهوت التقليدي؛ فلا آلهة فيها بالمعنى الإبراهيمي، ولا أنبياء، ولا وعود بآخرة. فلم يدّعُ بوذا مثلًا أنّه نبيّ أو رسول من السماء، بل كان معلّمًا يبحث في طبيعة الألم الإنساني وسبل تجاوزه. ثم جاءت الأديان التوحيدية لتقدّم إجابة مختلفة وأكثر وضوحًا على السؤال ذاته، إذ قالت: خلقنا الله، وأنزلنا من السماء إلى الأرض. كانت هذه الإجابة مريحةً للروح، لأنها تُشبع الحاجة الفطرية إلى الغاية والمعنى، لكنها تركت العقل في مواجهة تساؤلات أخرى لا تقلّ عمقًا: لماذا خلقنا الله؟ ومتى حدث ذلك الخلق؟ ولماذا أُهبط الإنسان من الجنة؟ ومن الذي خلق الخالق نفسه؟

ولم يتمكّن اللاهوت — رغم محاولاته العديدة — من تقديم إجاباتٍ تُرضي العقل الإنساني وتُقنع منطقه، فكانت البداية الحقيقية للمغامرة الفلسفية في القرن الخامس قبل الميلاد، على أرض اليونان، حيث حاول المفكرون الأوائل أن يقدّموا تفسيرًا عقليًا لوجود الكون بعيدًا عن الوحي والدين. وقد رأى الماديون منهم أن الكون نشأ بذاته، دون حاجة إلى قوة خارجة عنه تُحرّكه أو تُبدعه، ومن هنا تبلور في الفلسفة اليونانية مبحثٌ واسعٌ حول أصل الوجود وطبيعة الخلق، كان نواة التفكير الفلسفي في مسألة الوجود والكون.. (حسين الوادعي، جامعة اليمن.) للإجابة عن تساؤلات الكون والوجود، سمّوه(الميتافيزيقيا) أو ما وراء الطبيعة، ومن خلاله أرادوا الإجابة على كل التساؤلات المتعلقة بالكون

والإلوهية، وقد التقط الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمون الخيط من الفلسفة اليونانية، وكان أحد الاسئلة الساخنة: هل العالم القديم وأزلي أم مخلوق؟

فإذا قلنا إن العالم أزلي – الأزلي هو الذي له بداية – فهذا يعني أنّه موجود مع وجود الإله الخالق، وهذا يتعارض مع وجود فكرة الوحدانية، إذن كيف يكون العالم أزلياً وفي نفس الوقت من خلق الله؟ وإذا قلنا أن العالم مخلوق، فمتى خُلِقَ ولماذا؟ وهل بقاؤه أبدي –الأبدي هو الذي لا نهاية له – نعم إن لهُ نهاية. كانت الثورة الأكبر على يد دارون الذي أجاب إجابةً علمية وهي إن عمر كوكب الأرض الذي تعيش عليه حوالي ٤ مليارات سنة، في بداية تكونهِ كان صخرة (المصدر نفسه)

إن عمر كوكب الأرض الذي نعيش عليه حوالي ٤ مليارات سنة، في بداية تكوّنهِ كان صخرة نارية خالية من الحياة، لكن بعد حوالي ٤٠٠ مليون سنة من "ولادة" الأرض بدأت تتخلّق أول الأشكال البدائية للإنسان في البكتريا أحادية الخلية.نستطيع القول أن البكتريا أُحادية الخلية هي "آدم" الذي ستخرج منهُ كل الكائنات الحية الأخرى من حيوانات ونباتات وفطريات وطحالب وجراثيم.

لكن دارون الذي أجاب عن أصل الإنسان لم ينجح في الإجابة عن السؤال الأخطر: "أصل الكون". وكان على المسيرة البشرية أن تنتظر الى العقد الثامن من القرن العشرين لظهور النظرية النسبية على يد أنشتاين، ثمَّ لظهور النظرية الكمومية على يد بوهر، ليصبح العلماء قادرين على تقديم إجابة علمية للسؤال الأبدي.بدأ العلماء يدركون أن الكون ليس ثابتاً ولكنه يتوسع باستمرار، وما دام الكون يتوسع والمجرات تتباعد عن بعضها كما وثَّقَ ذلك علماء الفلك، فهذا يعني أن العالم كان أصغر بكثير في الماضي، ولربما كان نقطةً واحدةً صغيرة.

هنا ظهرت نظرية "الانفجار الكبير" التي أجابت دون أن تقصد عن سؤال الخلق، فالكون خلق عبر انفجار ضخم جداً أدى الى تمدده بعد أن كان جزءاً واحداً في حالة حارة شديدة الكثافة. لم تجب النظرية على كيفية "خلق" العالم فقط، بل استطاعت أن تحدد الوقت الذي تمَّ فيه خلق الكون. فما دام الكون يتوسع، فقد قاس العلماء نسبة التوسع والتباعد بين المجرات.

وعبر الاستقراء العكسي، قدَّر العلماء أن الوقت الذي كانت المسافة بين المجرات صفراً(بداية الكون) لن تقلَّ حسب المعدّل. تم قياس عمر الكون بوسيلة أخرى، عبر قياس الإشعاع الكوني الخلفي،

وهو الإشعاع المتبقي من الانفجار الكبير، والذي يمكن اكتشافه عبر "الفحيح" الذي تسجله موجات الراديو في الفضاء. لنعد إلى سؤال البداية: هل الكون أزلي أم مخلوق؟ أحدث النظريات العلمية ترجّح أن الكون مخلوق وليس أزلياً، ظهر في لحظةِ الانفجار الكبير قبل ١٣.٨ مليار سنة. لكن هل الكون أبدي أم أن لهُ لحظة نهاية؟ يرى ستيفن هوكينج أنَّه لا يوجد إجابةً علمية مؤكدة حتى الآن لسؤال النهاية. لكن إذا كان الكون سينتهي، فإنَّ ذلك لن يكون قبل ٢٠ مليار سنة(الانسحاق الكبير أو يوم القيامة بالمصطلحات الدينية).

نظريات نشوء الكون: وضِعَت العديد من النظريات عن نشوء الكون وتطوره منذُ آلاف السنين ولحد الآن وكما يلي:

أولا: <u>كون أرسطو</u>:

في القرن الرابع قبل الميلاد، وضع أرسطو نظريته الشهيرة في تفسير بنية الكون، وهي النظرية التي ظلّت موضع احترامٍ وقبولٍ لما يقارب الألفي عام. تقوم هذه النظرية على أن الأرض ثابتة وتشغل مركز الكون ذي الأبعاد المحدودة، بينما تتحرك النجوم والكواكب في مداراتٍ دائريةٍ منتظمة حولها، وقد رأى أرسطو أن الأشكال السماوية تامةٌ ودائريةٌ بطبيعتها، لأنها تمثل الكمال، وأنها مكوّنة من مادةٍ أزليةٍ مقدّسة تختلف عن المواد الأرضية الأربع (التراب، والهواء، والنار، والماء)، وأطلق على تلك المادة اسم الأثير، باعتبارها أنقى وأسمى عناصر الوجود.

كما افترض أن كل نجم من النجوم الثابتة مرتبطٌ بكرةٍ بلورية شفافة تدور دورةً كاملةً في اليوم الواحد، وأن النجوم السبعة التي تُعرف بالكواكب — وهي: الشمس، وعطارد، والزهرة، والأرض، والمريخ، والمشتري، وزحل — تسبح في وسطٍ أثيريٍّ نقيّ. أما العناصر الأرضية الأربعة، فإنها تقع تحت فلك القمر، وهي بتفاعلها تولّد الظواهر الجوية والكونية كالـ شُّهُب والنيازك والمذنبات، التي تُعدّ من مظاهر العالم المتغيّر، في مقابل ثبات السماوات العلوية وكمالها.

إلا أن هذه النظرية انهارت جزئياً على يد الفلكي(كوبرنيكوس) فلقد استبدل الأرض بالشمس كمركز للكون وفسّر دوران النجوم الظاهري بدوران الأرض حول نفسها وأن كرات النجوم ثابتة وتقع خارج مدار زحل، وبذلك هو توسع في الكون بالمقارنة بكون أرسطو، وعند ظهور قوانين كبلر الثلاثة التي برهن فيها على أن للكواكب السيارة مدارات بيضوية تقع الشمس في إحدى بؤرتيها انتهت نظرية ارسطو نهائياً، وبعد اختراع غاليلو المرقب الفلكي الذي رصد فيه الشمس وأقمار

المشتري ثم اكتشاف العالم هالي المذنّب المعروف باسمه واكتشاف هيرشل حركة الشمس وعندما وضع نيوتن قوانين الجاذبية التثاقلية استند علم الفلك على أسس صحيحة.

٢ : كون انشتاين –دي سيتير:

حاول ألبرت أينشتاين تطبيق النظرية النسبية العامة على تفسير الجاذبية وبنية الكون، منطلقًا من فرضيةٍ مفادها أن الكون متجانس في مادته ومتماثل الخواص في جميع الاتجاهات، وقد فسّر أينشتاين الجاذبية على أنها ليست قوة بالمعنى التقليدي، بل هي انحناء في الزمكان تسببه الكتلة والطاقة، ووضع لذلك معادلات المجال التي تصف هذا الانحناء.

أظهرت حلول هذه المعادلات أن الكون لا يمكن أن يكون ساكنًا، بل هو قابلٌ للانكماش تحت تأثير الجاذبية، وللتغلب على هذه النتيجة، أضاف اينشتاين حدًّا جديدًا إلى معادلاته سُمِّي بـ الثابت الكوني، وهو يمثل قوة تنافرٍ كونية تهدف إلى موازنة تأثير الجاذبية وجعل الكون ثابتًا ومستقرًّا. غير أن العالِمَيْن دي سيتير (De Sitter) وفريدمان (Friedmann) توصّلا فيما بعد إلى حلولٍ غير ساكنة لمعادلات أينشتاين، وأثبتا أن النظرية النسبية العامة في جوهرها تتوافق مع كونٍ ديناميكيٍّ متغيرٍ — يتمدد أو يتقلص — دون الحاجة إلى الثابت الكوني.

ثم جاء اكتشاف إدوين هابل لقانون الزحزحة الحمراء، الذي دلّ على أن المجرّات تتباعد عن بعضها بعضًا، ليؤكد بشكلٍ قاطع أن الكون في حالة تمددٍ مستمرّ، مما عزز نتائج فريدمان ودي سيتير، وقد اعترف أينشتاين لاحقًا بأنّ إضافته للثابت الكوني كانت "أكبر خطأ في حياته"، لتُعرف بعدها هذه الرؤية الكونية باسم نظرية الكون المتطوّر، وهي تقوم على مجموعةٍ من الافتراضات الأساسية، من أبرزها:

١. أن الكون متذبذب بتأثير الجاذبية التثاقلية التي تعيق التمدد.
٢. كون الخلق المستمر التي تنصُّ على أن الكون لا يملك لحظة بداية أو نهاية.

إن فرضية الكون المستمر بالتمدد لاقت قبولاً أكثر من غيرها لأن انخفاض الكثافة بالتمدد تجعل الجاذبية التثاقلية غير قادرة على إعاقة التمدد.

المطلب الثاني: منهج القرآن في تقويم المفاهيم الكونية لدى الإنسان والرؤية القرآنية الجديدة لعناصر الكون

إنَّ التحوّل الفكري العظيم الذي شهده العالم في مطلع القرن السادس عشر، كانت بذرته الأولى قد

انقدحت منذ القرن السابع الميلادي مع نزول القرآن الكريم، إذ جاء هذا الكتاب الإلهي ليعيد صياغة الفكر الإنساني من جذوره، ويصحّح المفاهيم والرؤى التي سادت في المجتمعات البشرية آنذاك.

وقد تجلّى ذلك أوّل ما تجلّى في المجتمع العربي الذي نزل القرآن بين أفراده، إذ جاء ليقوّم أوضاعهم الفكرية والعقائدية، ويحرّر عقولهم من الخرافة والجمود، ويوجّههم نحو التوحيد والعقل والوعي الكوني، فكان بذلك نقطة الانطلاق الأولى لمسارٍ حضاريٍّ جديدٍ في تاريخ الإنسان. أتى القرآن برؤية جديدة للكون وعناصره، ودعا الى منهجية تقودُ الفرد ذا الفطرة السليمة الى نتيجة حتمية مناسبة للرؤية التي دعا إليها. كانت عناصر الكون في المجتمع العربي خاضعةً الى مبادئ العقيدة المنتشرة بين أفراده، يعني الوثنية. فقد حظي عدد من عناصر السماء والأرض بلقب الألوهية عند العرب كالشمس (محمود سليم الحوت ١٩٧٩م، ص٩١)والقمر، والنجوم والماء والشجر واعتبروا أن لها سلطاناً عليهم فخافوها، ونحتوا لها الأصنام وقدَّموا إليها القرابين لترضى عنهم. فكانت النتيجة أنهم وقفوا منها وقفة الخاضع المُتذلّل إزاء الأمر المنصرف، وذلك هو موقف كل من بدائيّ التفكير يؤمن بالمذهب الحيوي l'animisme المبني على الاعتقاد بسريان الروح في الكائنات الطبيعية المُحيطة بالإنسان ولكي يتّقي شرَّهُ يعمد الى تقديس تلك الكائنات. فلما نزل القرآن دعا إلى نبذ هذه الرؤية، فأحلَّ التوحيد محل الوثنية، ونزَّه المعبود عن كل ما يمكن أن تشاركه به الكائنات المادية، وغيَّر رؤية الناس الى عناصر الطبيعة ونفى عنها صفة التقديس.

فالجديد الذي أتى بهِ القرآن بشأن علاقة الإنسان بعناصر الكون هو عينه الذي دعت إليه الثورة الكوبرنيكية، ففي كِلا الموقفين لم تَعُد الرؤية منطلقة من ذات الإنسان باعتبارهِ مركزاً للكون anthropocentrisme بل من البحث عن حقائق الأشياء ذاتها.

وكما أن الثورة الكوبرنيكية اعتمدت في مقرراتها لواميس علمية ومعادلات رياضية قيَّدت بها مقادير الأشياء وضبطت بها خصائصها فإنَّ القرآن عرَّف الإنسان بعناصر الكون الذي يعيش فيه وضبط له الصفات المناسبة لطبيعتها موجهاً رؤيته بذلك الى ضرورة التعرُّف على حقيقتها، متجاوزاً ذلك الى الوظيفة المنطقية المُضطلعة بها والتي تعلل وجودها: يعني الدلالة على التوحيد.

والمبادئ القرآنية التي ضبطت حقائق عناصر الكون تنحصر في اعتبار أنَّ هذه العناصر مخلوقات لله طيّعة، مقدَّرةً في كمياتها وكيفياتها، مسخَّرةً فانية فناء

جميع المخلوقات. فأبطل بذلك خوف الإنسان منها وأبطل بالتالي تقديسه لها، وحوّل سيطرتها عليه الى سيطرة ينبغي أن تكون له عليها، وفتح باب البحث فيها على مصراعيهِ.والمصطلحات الواردة في تحديد طبيعة عناصر الأشياء في القرآن عديدة

الخلق

- مادة الخلق
- الخضوع
- التسخير
- التقدير
- التنظيم
- الغائية
- الفناء

يستنتج من هذه الصفات ضرورة أنَّ عناصر الكون المخلوقة المُقدَّرة ، المُسخّرة، الفانية لا يصحُّ مُطلقاً أن يقفَ منها الإنسان موقف عرب الجاهلية، إنَّما ينبغي اتخاذ هذه الصفات وسيلةً الى إدراك حقائق نلك العناصر، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بالاعتماد على منهجية معينة ما أنفكَّ القرآن يلفت انتباه الناس إليها عائداً باللائمة على كلِّ مَن أعرض عنها وهي الملاحظة الحسية المؤدية إلى الاستنتاج المنطقي السليم. يقول تعالى: { أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ} الأعراف، الآية: ١٨٥. { وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} . الذاريات، الآية: ٢١. { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} الأنفال، الآية: ٢٢.

ولذلك أمر الله تعالى بالتفكر في الأرض والسير فيها، " وإنما أمر بالسير في الأرض لأن السير يدني إلى الرائي مشاهدات جمة من مختلف الأرضين بجبالها وأنهارها ومحتوياتها ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها فيرى كثيرا من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولانا لم يكن يخطر له ببال حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه، لأنه لما نشأ فيها من زمن الطفولة فما بعده قبل حدوث التفكير في عقله اعتاد أن يمر ببصره عليها دون استنتاج من دلائلها حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائبا عن بصره جالت في نفسه فكرة الاستدلال، فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة. وجيء في جانب بدء الخلق بالفعل الماضي لأن السائر ليس له من قرار في طريقه فندر أن يشهد حدوث بدء مخلوقات، ولكنه يشهد مخلوقات مبدوءة من قبل فيفطن إلى أن الذي أوجدها إنما أوجدها

بعد أن لم تكن وأنه قادر على إيجاد أمثالها فهو بالأحرى قادر على إعادتها بعد عدمها، والاستدلال بالأفعال التي مضت أمكن لأن للشيء المتقرر تحققا محسوسا." (محمد الطاهر هـ: ج٢٠، ٢٣٠)

وهكذا فإنَّ القرآن أحلَّ محل العقل المُكبَّل باعتقاد النفع والضر للحجارة والنباتات والأرواح، عقلاً تحرَّر من سخافة الميثولوجيا وأساطيرها الى صدق عقيدة التوحيد و واقعيتها. وبهذا التوجيه القرآني أصبح العقل البشري بعد تصفيته من الخرافة جاهزاً لتقبُّل الحقائق بجميع أصنافها.

المطلب الثالث: الرؤية الإسلامية الجديدة لخلق الكون وتطورهُ ومصيره:

نودُّ أن نبيّن الرؤية الإسلامية المُنبثقة عن العقيدة التي يقررها القرآن الكريم.. هذه الرؤية هي ليست نظرية علمية تفصيلية، وإنما هي أُسس عقائدية يمكن تلخيصها في ثلاثة بنود أساسية هي (هند شلبي، ١٩٨٥–, ص٣٤٣)

١. إنَّ الكون مخلوق من عدم لم يسبقه زمان بل وجد الزمان معه: وقد عبّر المتكلمون المسلمون عن هذه القضية بقولهم بمبدأ الحدوث.. التي تقرِّر أنَّ الكون وكل ما فيه من أشياء محدث أحدثهُ الله تعالى بإرادتهِ وقدرتهِ، وهو بما هو عليه قائم بأمر الله تعالى.. ولا سبيل البتّة عندهم للقول بقِدَم العالم أو حدوثه عن مادة قديمة، لأن ذلك يخالف أصلاً من أصول العقيدة وهو التوحيد.. فالقول بوجود قديمين يتناقضُ مع عقيدة التوحيد.

ويمكن استنباط ما وردَ أعلاه من خلال الآية الكريمة: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً}(فاطر، الآية: ٤١)

فالله تعالى هو القائم بأمر السموات والأرض، وقيمومتهِ دائمةً في كلِّ آنٍ ولا تقتصر قيمومته على الخلق بل على إدامة الخلق أيضاً.

ولقد عبَّر القرآن عن عملية خلق السموات والأرض في مواضع كثيرةٍ، ولم يقدّم تفصيلاً لهذه الكيفيات، بل أوردها إجمالاً مشيراً بوضوحٍ تام إلى كون السموات والأرض كانت جملةً واحدةً ثم انفصلتا، إذ يقول تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء، الآية: ٣٠).

فمعنى كانتا رتقا أي ملتصقتين، كما يُشير القرآن إلى كيفية إجمالية لعملية تكوين المجرّات، فقال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (فصِّلت، الآية: ١١).

ومعنى ذلك أنَّ السماء كانت في زمن ما في حالةِ الدُّخان وهو غازات متجمعة. وهذه مرحلة حاصلة في خلق الكون على ما أوضحنا سابقاً. أما قولهِ تعالى: { ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً } (فصِّلت، الآية: ١١).

فالطوع هو: الانقياد، والكُره: عكسهُ.. فمعنى ذلك أنَّ السموات والأرض قد انقادت للأمر الإلهي بيُسر وسهولة مما جعل التصرُّف الظاهر فيها وكأنَّه حاصل من ذاتها لا بتوجيه من خارجها أو عن غيرها... أي ظهر التصرف وكأنه لطبعٍ فيها، لذلك لك يكُن غريباً على الفكر الإنساني المُستقل عن الوحي أن يقول بأنَّ الأشياء تتصرَّف لطبع فيها، وليس استجابةً لتوجيه خارجي.. وهذا هو مذهب أهل الطبيعة الذين لا يجدون ضرورةً لوجود إلهٍ يُصرِّفُ الأشياء، وهم واهمون بمذهبهم هذا لأنَّهم إذ اعتقدوا بالطبع الذاتي فإنَّهم قد أثبتوا عقلاً ذاتياً في الأشياء الجامدة.. أو أنَّهم يثبتون عقلاً شاملاً كلياً يخرج عنها يقوم بتنسيق العقول الذاتية الى المراد العام الشامل.. وهذا ما كان عندهم في أحسن الأحوال فقالوا بالعقل المطلق. وهذا هو مذهب أفلاطون وأرسطو وك فلاسفة العرب حتى يومنا هذا.

٢. توسّع الكون: يقرر القرآن الكريم أن السماء في حالة توسع إذ يقول تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}. (الذاريات، الآية: ٤٧).

والاتساع في اللغة ضد الضيق. وفعل موسعون فعل مستمر، ولم يبيّن القرآن تفاصيل الاتساع، وإنَّما أوردهُ مجملاً،

وللمفسرين في معنى التوسع أقوال منها: لموسعون السماء، أو لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء، أو لموسعون بخلق سماء ملثها. (أبو الحسن علي بن محمد : ج٥، ص٣٥٣.)

لقد ناقش المفكرون المسلمين قضية توسّع الكون(العالم في تعبيرهم) ونجدُ في كتاب تهافت التهافت مناظرةً بين طروحات أبي حامد الغزالي الذي يتكلم بلسان المتكلمين، وردود الوليد بن رُشد، والذي يتكلم بلسان الفلاسفة، ويدافع عنهم. ولعل من دواعي الفخر أن نعلم بأنَّ المتكلمين المسلمين كانوا في تلك العصور قد أدركوا ضرورة وجود إمكانية لتوسع الكون.

لقد طرح أبو حامد الغزالي هذا السؤال: "هل كان الله قادراً على أنْ يخلق العالم أكبر مما هو عليه؟ فإن أُجيب بالنفي، فهو تعجيز لله. وإن أُجيبَ بالإثبات ففيه اعتراف بوجود خلاء خارج العالم كان يمكن أن تقع فيه الزيادة لو اراد الله أن يزيد في حجم العالم عمّا هو عليه".

أما ابن رُشد الذي يلتزم موقف الفلاسفة اليونانيين، فإنَّه يرى أنَّ: " زيادة حجم العالم أو نقصه عمّا هو عليه مستحيل لأن هذا التجويز إذا قام لا مُبرر لإيقافه عند حد، وإذن فيلزم تجويز زيادات لا نهاية لها". إذ يتضحُ أنَّ المتكلمين المسلمين حين استندوا إلى أصول العقيدة الإسلامية المُستنبطة بشكلٍ صحيح من القرآن فإنَّهم توصلوا الى فهم مسائل عويصة وبعيدة الغور في المعرفة العقلية لم يتيسر لغيرهم مثلها. فعلى الرغم من غرابة هذه المسالة على عصرهم إذ ننظر نحن الآن إليها، وإذ نعلم أن موضوعهُ توسّع الكون هي مسألة مستحدثة في الاستنباط العلمي، في هذا القرن العشرين الميلادي.

إذن فإنَّ الرؤية الإسلامية تجوز توسع الكون نصّاً من القرآن وعقلاً من استنباطات المتكلمين، وكان ذلك عصر مبكر جدلً دون أن تتوفر لديهم أيةَ معارف تفصيلية عن فيزياء الكون والقوى العاملة فيه. إلا أنَّهم كانوا يمتلكون الرؤية الصحيحة والمنهج الصحيح لتحليل المدركات والمعقولات، فكانت أغلب توصلاتهم المعرفية صحيحة من حيث المبدأ، نقول هذا ولا ننسى أن نتذكر أن هذه الحوارات الراقية دارت خلال القرن السادس الهجري(الثاني عشر الميلادي) بينما كانت أوروبا في درك عصور الانحطاط والتخلُّف.. وأمريكا لم تكُن مُكتَشَفةً بعد.. وكل ذلك الرُّقي الفكريّ مردَّهُ إلى التزام العلم العقلي مهتدياً بالوحي السَّماوي.

٣. مصير الكون: تُقرِّر الرؤية الإسلامية أن مصير الكون سيكون حتماً الى الزوال.. وأن السماء ستطوى طيّاً، أي تنكمش على بعضها، إذ يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: { يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} (الأنبياء: ١٠٤).

فالطي: هو" الإخفاء والتعمية والمحو، لأن الله تعالى يمحو ويطمس رسومها ويكدر نجومها") أبو عبد الله محمد بن أحمد ب– ١٩٦٤ م: ج١١، ص٣٤١(وبغضّ النظر عن كلِّ ما يدورُ من خلافاتٍ علمية معاصرة حول مصير الكون، فإنَّ الرؤية الإسلامية تُقرِّر أن الكون لابدَّ أن ينهار، وفي هذه المسألة نلاحظ دقة التعبير القرآني

في قوله تعالى: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ } .. ذلك أن انكماش الكون يؤول به إلى النقطة التي انطلق منها.. وهذا الأمر هو كذلك أيضاً في رؤية القائلين بانكماش الكون من علماء الكونيات المعاصرين..

الخلاصة:

تبيّن لنا من خلال هذا من الرؤية الإسلامية لمسائل خلق الكون وتطوره ومصيره تتفق مع العلم الاستنباطي المعاصر في مسألتين، وتختلف معه في واحدة(هي غير محسومة أصلاً). فالاتفاق حاصل صراحةً في مسألة الحدوث.. ومسألة الاتساع، إلا أنَّ الاختلاف هو في مسألة المصير، إذ لم يَقُل العلم حكمه النهائي فيها، فإنْ كان الترجيح هو استمرار الاتساع الى ما لا نهاية له، فهذا مما لا تقرُّهُ الرؤية الإسلامية، وإن كان العلم سيتوصل إلى حسم المسألة بإجاد الدلة القطعية على توقف التوسع الكوني يوماً ما، ثمَّ انهيار الكون على بعضهِ، فإنَّه سيكون متوافقاً مع الرؤية الإسلامية، ونحن نُقرر صحة الرؤية الإسلامية في هذه المسألة أيّاً كانت توصلات العلم العاجلة أو الآجلة، مع ثقتنا الأكيدة أن العلم هو الآخر سيتوصل الى هذه النتيجة حالما يستبصر طريقه الصحيح فيها.

المطلب الرابع: خلق الكون بين النصوص الشرعية والحقائق العلميّة

أولا: مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السماوات والأرض

فيما يلي ألفاظ الحديث الصحيح الذي يرويه عبدالله بن عمرو (صحيح مسلم، كتاب القدر، حديث رقم ٤٧٩٧. .) (كتَبَ اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلقَ السَّماواتِ والأر ضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ . قال وعرشُه على الماءِ وفي روايةٍ : مثلُهُ، غير أنَّهما لم يَذكرا : وعرشُه علَى الما ءِ)قد وضّح الحديث الشريف حالة مبدأ الخلق والوجود قبل خلق السّماوات والأرض.

وقد أورد العسقلاني في فتح الباري (ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي،. ج ٦، ص ٣٥٥.)قوله: "ووقع في الرّواية الّتي في التوحيد (ثمّ خلق السّماوات والأرض) ولم يقع بلفظ "تمّ" إلاّ في ذكر خلق السّماوات والأرض. أشار بقوله (وكان عرشه على الماء) إلى أنّ الماء والعرش كانا مبدأ هذا العالم لكونهما خلقا قبل خلق السّماوات والأرض (الشيرازي: ١٩٩٦ ص٢٢١.)، ولم يكن تحت العرش إذ ذاك إلاّ الماء

ثانيا: الأرضون السبع يقول سبحانه وتعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ

اللَّـهَ قَـدْ أَحَـاطَ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عِلْمـا} (سـورة الطـلاق، الآية: ١٢). قرأ الجمهـور: (مثلـهنّ) بالنّصـب عطفاً على (سبع سموات) أو على تقـدير فعَـل، أي: وخلـق من الأرض مثلهنّ (إيجاز حذف: أي وخلق سبعاً مـن الأرض) (الشـوكاني، (بـلا تـاريخ)، ص٢٧٤.) وأورد القـرطبي في تفسـيره الجـامع (القـرطبي،١٩٩٦ ص ١١٥..): " (ومن الأرض مثلهن) يعني سبعاً".

– عن عبيدالله بن مقسم عـن عبـدالله بـن عمـر قـال رأيـت رسـولَ الله – صـلّى الله عليـه وسـلم – علـى المنـبر وهـو يقـول: يأخـذُ الجبّـارُ عـزّ وجـلّ سمواتـه وأرضيه بيديْه ثمّ ذكر نحو حـديث يعقـوب (صـحيح مسلم)

– وعن عبدالله بن مسعودٍ –رضي الله عنه– قال جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلم – فقال يا محمّـد إنّـا نجـدُ أنّ الله يجعـلُ السّموات على إصبعٍ والأرضين على إصبعٍ والشّجر على إصـبع والماءَ والثّرى علـى إصـبعٍ وسـائر الخلـق علـى إصـبع فيقول أنا الملك فضحك النّبيُّ – صلّى الله عليه وسـلم – حتى بدت نواجـذهُ تصـديقاً لقـول الحـبر ثـمّ قـرأ رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلم – (ومـا قـدروا الله حـقّ قـدره والأرضُ جميعـاً قبضـتُه يـومَ القيامـة والسّـموات مطويّـاتٌ بيمينـه سـبحانه وتعـالى عمّـا يشركونتبيّن الآية الكريمة (والأرضُ جميعاً قبضتُه يومَ القيامة) ما أكّدتـه الأحاديـث السّـابقة مـن أنّ حـال الأرضـين يـوم القيامـة هـو القـبض والطّـيُّ، والمـراد بالأرض الأرضون السّـبع) أحمـد، الأحاديـث رقـم : 3409، ٣٨٧٨، ٤١٣٨(. وأنَّ حالة القبض هـذه لا تحصل إلا يوم القيامة) لرّازي، ١٩٩٣ ، ص ١٧– ١٨(. أمّا حالهنّ في الدّنيا ففتـق وبسـط (حالـة فتـق الأرضين تبيّنها مجموعة الأشكال(بعد أن كانتا رتقـاً عند بداية الخلق: { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُـلَّ شَـيْءٍ حَـيٍّ أَفَلَـا يُؤْمِنُـونَ}. (سـورة الأنبيـاء، الآية: ٣٠).

هناك أحاديث تحدّد عدد الأرضين بسبع، ومـن هـذه الأحاديث:

– روى البخاري عن ابن عمـر – رضـي الله عنهمـا– قال: قال الـنّبيُّ – صـلّى الله عليـه وسـلم – : (مـن أخذ من الأرض شيئاً بغير حقّه خُسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين) (صحيح البخـاري، حـديث رقـم ١١٢٠).

– " من اقتطع شبرا من الأرض ظلمـا طوقـه الله إيـاه يوم القيامة من سبع أرضين "

– " لا يأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة " (الإستراباذي، ١٩٩٨، ص ٣٧٥–٣٧٦..)

يتّضح من هذه النّصوص ذكرُ الأرضين وهي المقصودةُ في الحكم العامّ، والعدد كالوصف لها. أي أنّ عاقبة ظلم الأرض _ أخذها بغير وجه حقّ _ الخسف بمرتكبه يوم القيامة إلى الأرضين الّتي هي سبع.

ثالثا: مبدأ الكون كما يتصوّر علماء الكون والفلك

يرى علماء الكون صحّة أنموذج الكون المتوسّع؛ فقد خلق الله الكونَ واسعاً ومتوسّعاً وهذا يتّفق مع الآية الكريمة: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ } (سورة الذاريات، الآية: ٤٧.)يقول علماء التّفسير إنّ الله عزّ وجلّ قد خلق السّماء واسعة كما ويقولون أنّ السّماء آخذةٌ بالتّوسّع

لقد كانت السّماء واسعة عندما خلقها الله عزّ وجلّ ابتداءً؛ فلقد كان الكون يتوسّع بتسارع كبير وإنّ التوسّع في بناء السّماء دائم ومستمر حتى فناء الكون يوم القيامة.

المطلب الخامس: حقائق تثبت أن القرآن لا يناقض العلم في خلق السموات والأرض، ورد شبهات المشككين

كثيرة هي الأسئلة التي يثيرها أولئك المشككون حول مصداقية القرآن، فهم يتساءلون تارةً: هل هناك فعلاً(سماء) في ميزان العلم الحديث؟ وتارةً أخرى ينكرون وجود أي سماء ويعتبرون الحديث القرآني عن السماء أنه خرافة لا أساس لها!

ما هو الفرق بين الكون والسماء؟ لقد تأملت جيداً ما يكشفه العلماء من حقائق كونية يقينية، وتأملتُ بالمقابل ما جاء في كتاب الله تعالى قبل أربعة عشر قرناً، فوجدتُ التطابق الكامل دون أن نحمل النص القرآني غير ما يتحمّل من المعاني والتفاسير.

إن الكون المرئي كما يعرّفه العلماء يشمل كل ما نراهُ من أقرب ذرة أكثر مما توفره لنا العدسات المُكبرة والأجهزة الرقمية المتوافرة لدينا. ولكن القرآن الكريم وفّرَ لنا الرؤيا الواسعة والتي لا يتطرق إليها النقص أو الخلل أو العيب. كما إن القرآن الكريم دقيق في تعابيره، فهو لم يطلق لفظ الكون دون تحديد، بل هنالك لفظ(السماء) ولفظ (النجوم) ولفظ(البروج) ولفظ(الأرض)... وغير ذلك من الألفاظ المحددة، على عكس العلم الحديث الذي يطلق مصطلح "الكون" وهو مصطلح غير دقيق علمياً، لأننا لا نعرف بالتحديد ما تعنيه هذه الكلمة، هل تعني (كل شيء) إذا كان كذلك فهذا تعبير واسع وغير محدد.

وإذا كانت كلمة" الكون" تعني المجرات والكواكب أي كل شيء نراه، فماذا عن الأشياء التي لا نراها؟

إن القرآن يحدد لنا كل مادة في هذا الكون، فهناك نجوم، وهناك أرض وشمس وقمر... وهناك سماء! إن الذي يتأمل آيات الله تعالى يستنبط بسهولة أن السماء الدنيا تبدأ من الغلاف الجوي المحيط بنا، وتمتد لآخر مجرة تمَّ رصدها حتى الآن وهذا يعني أن الكون الذي يتحدث العلماء عنه هو "السماء الدنيا+ الأرض"، إذاً السماء تحيط بالأرض من جميع جوانبها وتمتد الى آخر مجرة يمكن رؤيتها، لأن الله تعالى زيّن السماء الدنيا(أي السماء الأولى) والأقرب إلينا، زينها بالنجوم والمجرات

وهنا ربما نجد تفسيراً لمعنى قوله تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} فصلت، الآية: ١١. ففي هذه الآية يحدثنا الله تبارك وتعالى عن قول السماء والأرض(قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) ربما تكون هذه الترددات الصوتية التي أصدرها الكون في بداية خلقه، هي امتثال وطاعة لأمر الله لأن الله تبارك وتعالى يقول: { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} الإسراء، الآية: ٤٤.

توجد أدلةً دامغة اليوم على أن الأرض تشكلت من الدخان الكوني، وقد كان الدخان منتشراً في كل مكان أثناء تشكُّل الأرض وبعد تشكلها لملايين السنين، أي أنه في اللحظة التي تشكلت فيها الأرض كان موجوداً، وفي كتاب الله تبارك وتعالى إشارة رائعة إلى هذا الأمر عندما قال: { قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ {٩} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ {١٠} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ {١١} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {١٢} فصلت، الآيات: ٩-١٢.

طالما كان هذا النَّص الكريم مَدخلاً للمُشككين ليوهموا ضعفاء العقول والقلوب بأن القرآن متناقضٌ! فكيف يؤكد القرآن أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام (http//www.kaheel7.com/ar/index.php) ثم يأتي في هذا النص ليؤكد أن الأرض خلقت في يومين، ثم تمَّ إكمال خلقها في أربعة أيام، ثم خلقت السماء في يومين، فيصبح المجموع

ثمانية(٢+٤+٢=٨)!! ويظن الملحد أنه أخرج لنا تناقضاً علمياً في القرآن: يكفي أن نجد خطأً علمياً في القرآن، ويقول: يكفي أن نجد خطأً علمياً واحداً لنثبت أن القرآن محرَّف، هكذا يقولون!

ولكن لنتأمل بدقةٍ هذا النص الكريم في ضوء الحقائق العلمية اليوم:

١. خلق الله تعالى الأرض في يومين(خلق الأرض في يومين) أي أن الأرض لم تكن موجودة فأوجدها الله تعالى في يومين ولكنها غير صالحة للحياة، فقدّر فيها أقواتها وخلق عليها الجبال وغير ذلك بشكل يجعلها صالحة للحياة، وذلك في أربعة أيام(وقدَّر فيها اقواتها في أربعة أيام) فيكون المجموع ستة أيام.

٢. في هذه الأيام الستة كانت السماء موجودة وممتلئة بالدخان، والدليل على أنها وجودة قوله تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ} فالسماء إذاً مخلوقةً وموجودة مع الأرض، وهذا ما يقرره العلم الحديث (المصدر نفسه)

ثم بعد ذلك جعل هذه السماء الواحدة سبع طبقات بعضها فوق بعض، وهذه العملية لا علاقة لها بخلق السموات، بل هي عملية منفصلة ومتممة وتمت بعد خلق السموات وسماها القرآن بعملية التسوية، لأن الله قال: { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} لم يَقُل(فخلقهنَّ)، وهذا دليل على أن السماء موجودة أصلاً ومنذ البداية، وخلقت مع الأرض ولكنها لم تأخذ شكلها النهائي لأنها كانت دخاناً وهذا ما يؤكده العلماء اليوم.

إن الله خلق الأرض وهيأها بشكلٍ كامل في ستة أيام، وخلال هذه الأيام الستة خلق السماء أيضاً لأن خلق السماء والأرض جاء متناسقاً لأن الأرض خُلقت من الدخان الكوني الذي كان يشكل مادة السماء في بداية الخلق، وهذا ما يقوله العلماء اليوم.

حاول المشكّكون إثارة الشبهات حول هذه الآية، فقالوا: "إن هذه الآية تدلُّ على أن الأرض خُلقت قبل السماء، فهل يمكن ان نصدق ذلك في ضوء العلم الحديث؟ إذاً القرآن يناقض العلم الحديث! إذاً هو كتاب من عند غير الله لأن الله لا يُخطئ!!

إن هؤلاء لم يقرأوا الآية جيداً لأن الله تعالى عندما قال: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ} إن هذه الآية تدلُّ على أن السماء كانت موجودة قبل أن يستوي إليها ولكنها في معظمها دخاناً، ثمَّ يقول بعد ذلك: {فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً} إذاً الخطاب للسماء والأرض، وبالتالي أثناء هذا الخطاب

كانت الأرض موجودة وكانت السماء موجودة، ولا يعني ذلك أن الأرض خُلقت قبل السماء، ولكن هذا ما فهمه المفسرون حسب علوم عصرهم، أما نحن اليوم فلسنا ملزمين أن نفهم الآية كما فهمها المفسرون قبل ألف سنة مثلاً، لأنه لو توافرت لديهم العلوم لفهموها كما نفهمها اليوم (المصدر نفسه)

شبهات الملحدين

يرى الملحدون أن البدائيين كانوا يعللون ما يحدث في الكون بقوة تكمن وراءه ،وخارجة عنه،ومع مرور الأيام اكتشف علماء الطبيعة أن في الكون نفسه قوانين ثابتة وصارمة لاتتغير ولا تتبدل، وبها وحدها ترتبط حركات الأفلاك وكل ظاهرة طبيعية من أكبر كبيرة إلى أصغر صغيرة ،ومن هذه القوانين الجاذبية،وحركة الذرة وأغلفتها الإلكترونية وغير ذلك ،وإذن فلا شيء وراء الطبيعة يدعو إلى الإيمان به (محمد جواد مغنية: ص٣٩.)

واعتماداً على العقل ومنطقهُ نسأل: إذا فسرنا حركات الكون وحوادثه وضروب نشاطاته، إذا فسرنا كل ذلك بالقوانين الموجودة في الكون نفسه – فبأي شيء نفسّر هذه القوانين الموجودة في نفس الكون؟ ومن الذي أودعها فيه لتحفظ عليه نظامه ووحدته، وتكون سبباً مباشراً لأشيائه وأحداثه؟ وهل يسوغ في منطق العقل أن نترك كل ذلك للفوضى والصدفة؟ وعلى حد ما قال شوقي أمير الشعراء: ((الطبيعة من طبعها؟)) وهل من جواب عند العقل السليم إلا القول: إن وراء هذه القوانين الدقيقة الصارمة علة أولية ذات قصد وغاية وعلم وقدرة ينتهي إليها كل شيء، ولا تنتهي هي إلى شيء، بل لا يُعقل بحال أن يكون غيرها علة لها وألاّ لما وجد شيء على الاطلاق.(ندى ساجد، ٢٠٢٣، ١٥٨)

ولمجرد التوضيح نضرب مثلاً بالساعة وصانعها.. أنه نظّم آلاتها وربط بعضها ببعض على شكل هندسي معين بحيث تعمل بمجموعها تلقائياً لتدل على الدقيقة والساعة، بل واليوم والشهر تماماً كما اراد الصانع المنظم.. وهكذا الكون: كوكبه وأشياؤه كآلات الساعة، وترتيب كل شيء وكوكب في فلكه (المصدر نفسه , ص٤٠.)

المطلب السادس: الحكمة في خلق الكون

حيث إنَّ العلم مخلوقٌ لله الذي هو الحقُّ المطلق، فإنَّ خالقه كذلك حقٌّ ويتَّسم بالحكمة، فلا مجال للعبثيّة واللاهدفيّة فيه. قال تعالى: { مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ} الأحقاف، الآية: ٣. على أنَّ غاية هذا العلم والإنسان إنَّما تتَحقّق عندما تقومُ القيامة، كما قال الإمام أمير المؤمنين

علي(عليه السلام): "فإنَّ الغاية القيامة" (نهج البلاغة، خ، ص١٩٠)

فالله سبحانه موجود في هذا الكون والذي يفكّر في هذا الكون البديع المُتقن يجد ربَّه، وإبراهيم(عليه السلام) وجد ربَّهُ في هذا الكون بعد أن بحث عنه في فكرهِ، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله)) قبل الوحي وفي غارِ حِراء بجبل ثور يخلو الليالي الطوال يجول في نظرهِ في كون الله العظيم، ويتفكّر ويتدبّر في رب هذا الكون وهذه السماء وهذه الأرض، فتفكيره(صلى الله عليه وآله)) في عظمة هذا الكون وعظمة هذه السماء وجمال نجومها وأبراجها وبديع صنعها، قد اوصله إلى الله الخالق المُبدع قبل أن يوحى إليه.. فتفكّر سيدنا محمد(صلى الله عليه وآله)) أوصلهُ إلى الله سبحانهُ وتعالى، والوحي قرَّبهُ من الله سبحانه عن كثب وثبَّته في إيمانهِ.

ولا يعني هذا أن الأمر موقوف على الرُّسل، فكثيرون في التاريخ أوصلهم تفكيرهم الى الله سبحانه، من خلال العقل الذي خلقهُ الله بفطرتهِ مؤمناً.

الكون مخلوق قبل خلق الإنسان بكثير، فعُمر الكون كما قال العلماء أو كما أقرَّت النظريات ثبوتاً، ثلاثة عشر ونصف مليار سنة(١٣.٥)، وعمر الإنسان على هذه الأرض، لا يتجاوز بضعة آلاف من السنين، فالفرق الزمني واسع بين الخلقين، خلق الكون، وخلق الإنسان، ومع ذلك سخَّر الله سبحانهُ للإنسان هذا الكون تسخير علم ومعرفة وفائدة، وليس تسخير طاعة فالطاعة لله وحده(حيدر لؤي، ٢٠٢٤، ١٥١)

يقول تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} (سورة لقمان: ٢٠).

وهنا تكمن عظمة الإنسان وعظيم خلقه (هدى سليم، ٢٠١٨، ١٣٣) نعيش في هذا الجرم الصغير ويسخّر الله سبحانه لنا كلَّ هذه الأفلاك والمجرات العظيمة في حجمها وفي اتساعها وفي عددها! هنا لا بدَّ لنا أن نقف طويلاً أمام هذه الآية الكريمة يقول تعالى: { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (سورة الجاثية: ١٣).

ومعنى تسخيره لنا: هو أنه هيأها لانتفاعنا بها، فهو مسخر لنا من حيث إننا ننتفع به على الوجه الذي نريد". (أبو الحسن علي بن أحمد , ٤٣١)

فكما أنَّ الله سبحانهُ أكرمنا هذا الإكرام العظيم.. علينا أن نكون محلَّ ثقة الله بنا، ومحل تكريم الله لنا، ولا نفتأُ أبداً في النظر إلى تلك السماوات والتفكُّر فيها، وبعظيم خلقها، فنقدِّر الله حقَّ قدره،

ونعبدهُ حقَّ عبادتهِ، ونوحِّدهُ حق التوحيد، ونُعظمَهُ حقَّ التعظيم.

النتائج

١. الوجود ليس مساوقاً للطبيعة المادية:

الوجود ليس مساوقاً للطبيعة المادية، ولا ينحصرُ فيها، بل يشمل عالِم الغيبِ. كما أن الظواهر المادية يؤثر بعضها ببعضٍ بإذن الله، كذلك تؤثر الموجوداتُ الغيبية في عالم الطبيعة بالإذن الإلهيّ. ويتحدث القرآن عن تأثير ملائكةِ الله وتسبِّبها لحوادِث العالم الطبيعي إذ يقول: { فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً} النازعات، الآية: ٥.

{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً} الانعام، الآية: ٦١. إذن عالَم الخلق بقسميهِ: الطبيعة وما وراءها مع النظام السببي قائمٌ برمَّتهِ بمشيئة الله سبحانه.

٢. العلّة والمعلول:

النظام الكوني الرّاهن قائمٌ على أساس العلَّة والمعلول، وتأثيرُ كلِّ ظاهرةٍ في ظاهرة أخرى متوقّف على مشيئة الله، ومن الواضح أنَّ الاعتقاد بتأثير الظواهر بعضُها في بعض، لا يعني الاعتقاد بخالقيّتها قَطُّ، بل المقصود أنَّ تلك الأسباب والعلل توفِّر، بإذن الله ومشيئتهِ، أرضيّة تحقق ظواهر أخرى، وأيَّ نوع من أنواع التأثير والتأثُّر مظهرٌ من مشيئة الله وإرادته الكلّية، وقد أشار القرآن الكريمُ إلى هذين المطلبين. قال تعالى: { وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ } البقرة، الآية: ٢٢.وقال: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ } الأعراف، الآية: ٥٨.

3.نظام الكون الحالي ليس أبدياً:

النظام الحالي للكون ليس خالداً ولا أبديّاً، بل سينهدمُ ويندثر بعد زمانٍ يعلمهُ الله وحده على وجه التحديد، ويقوم مكانه نظامٌ آخر هو العالم الأُخروي وما يُسمّى بالمعاد، قال تعالى: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } إبراهيم، الآية: ٤٨.

٤. الكون مخلوق للّه(سبحانهُ):

ومعنى ذلك أنَّ الكون خُلِق بإرادة الله ومشيئته، وأنَّ نسبته إلى الله ليس منْ نمط نسبة الوَلد إلى الوالد، قال سبحانه: { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ {٤} الاخلاص، الآية: ٣-٤.

٥. الكون نظام كامل:

إن نظامَ الخليقة هو النظامُ الأكملُ والأحسنُ. قال تعالى: {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} الانعام، الآية: ١١٦. والدليل العقليُّ يدعمه، ذلك لأنَّ فعلَ أيَّ فاعل يتناسب مع ما عليه الفاعلُ من حيث الصفات

والكمالات فإذا كان الفاعلُ منزَّهاً عن أيَّ نقص من حيث الصفات الوجودية، كان فعلهُ كذلك عارياً من أيّ نوع من أنواع النقص والعيب.

ولا يحتاج القرآن الكريم منّا إلا قراءته وتدبُّر آياته برويةٍ وفكر وتأنٍ وإعمال الفكر والعقل.. فالقرآن الكريم على حالاتٍ ثلاث مع البشرية

١. قسم مؤمن: يقرأه ويتدبر معانيه، ويعمل بهِ، ويدرس كلَّ آية بل كل كلمةٍ فيه، وهو لهم هدىً ورحمةً وبُشرى، وفي هؤلاء يقول تعالى: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ} (سورة فصلت: ٤٤).

٢. قسم مؤمن به ولكن لا يتدبّر معانيه: ولا يعملُ بهِ ولا يجهدُ نفسه بدراسته، وفي هؤلاء يقول تعالى: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } (سورة محمد: ٢٤).

٣. قسم غير مؤمن به ولا يدري عنهُ شيئاً: ولا يريد أن يدري عنهُ شيئاً وهؤلاء هم أكثر أهل الأرض، يقول تعالى: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ} (سورة الانعام: ١١٦). وفي هؤلاء يقول تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} (سورة فصلت: ٤٤).

فالمؤمن بكتاب الله تعالى هو الذي يتدبّر آياته، ويتفكّر في خلق السماوات والأرض، ويدرس آيات الإعجاز الكوني والأرضي والإنساني.

التوصيات :

١- التوجه بتدريس مفهوم الخلق والتدبر به في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ لترسيخ العقيدة الصحيحة لدى الأجيال.

٢- الاهتمام بتشجيع الباحثين على دراسة العلاقة بين النصوص القرآنية والاكتشافات الكونية الحديثة بروح علمية منضبطة بالضوابط الشرعية .

٣- توظيف الرؤية الإسلامية في مناهج العلوم الطبيعية والفلسفية لإظهار التكامل بين العلم والإيمان.

المصادر:

القرآن الكريم.

١. ابن حجر(ت:٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ط٢

٢. ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب ، ت ٥٤٦ هـ ، المحرر الوجيز في تفسير

الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية (بيروت– لبنان ١٤١٣ هـ–١٩٩٣م).

٣. أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)،التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.

٤. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، النكت والعيون، السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان

٥. أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٦. أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف ٦٥٤–٧٥٤ هـ ، دار الفكر (بيروت– لبنان ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، تسعة أجزاء ، م ٣ .

٧. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

٨. أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، ت٦٧١ هـ ، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية ،بيروت– لبنان الطبعة الخامسة ١٤١٧ هـ –١٩٩٦ م، واحد وعشرون مجلّدا .

٩. أحمد بن حنبل(ت٢٤١ه)،المسند، دار صادر،بيروت–لبنان.

١٠. الإمام ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي(ت٢٧٩ه)،سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ،دار الفكر،بيروت– لبنان،الطبعة الثانية،(١٤٠٣ه–١٩٨٣م).

١١. البخاري، صحيح البخاري مطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل ٢٥٦ هـ ،دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م،

١٢. البيضاوي (ت ٧٩١ هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر،

بيروت ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م، خمسة أجزاء ، ج ٣.

١٣. حسين يوسف راشد، الارضون السبع لغز المادة المظلمة، العمري، مجلّة كليّة المعارف الجامعة، الأنبار، العدد السادس(٢٠٠٤).

١٤. حيدر لؤي جبار ، الانسان قبل النشأة والوجود، مجلة الفلسفة، كلية الاداب الجامعة المستنصرية، العدد ٢٩-أ، حزيران، ٢٠٢٤، https://fmm.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/jphil/article/view/٣٠/٢٨

١٥. خلق السموات والأرض: حقائق تثبت أن القرآن لايناقض العلم، موسوعة علمية شاملة لبحاث الإعجاز العلمي.

١٦. خلق السموات والرض حقائق تثبت ان القرآن لا يناقض العلم، موسوعة علمية شاملة لأبحاث الإعجاز العلمي:

١٧. رضي الدّين الإستراباذي، ت ٦٨٦هـ ، شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق: أميل يعقوب، ج ١، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٩٩٨، ٣.

١٨. الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير، محمد بن علي بن محمّد (ت ١٢٥٠ هـ)، عالم الكتب (بلا تاريخ) ، ٥ أجزاء، ج ٥.

١٩. ماهر أحمد الصوفي، الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة، في السماء الدنيا والسموات السبع.

٢٠. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ

٢١. محمد جار الله الصعدي، النوافح العطرة.

٢٢. محمد عبده ، نهج البلاغة، دار المعرفة ، بيروت، لبنان

٢٣. محمد فخر الدين (ت ٦٠٤ هـ)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب المشهور بتفسير الفخر الرّازي، الرّازي، دار الفكر ، بيروت ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م .

٢٤. محمود سليم الحوت، في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط٢، ١٩٧٩م، بيروت.

٢٥. مركز السراج للتأليف والتحقيق والترجمة، دروس العقيدة الإسلامية في ضوء مدرسة أهل البيت.

٢٦. مسلم النيسابوري(ت٥٢٦١)،صحيح مسلم، دار الفكر،بيروت-لبنان

٢٧. ندى ساجد حميد، ظاهرة الالحاد دراسة في ضوء روايات أهل البيت (عليهم السلام)، مجلة المستنصرية للعلوم الانسانية، المؤتمر العلمي السادس والعشرون للعلوم الانسانية والتربوية كلية التربية، ٣-٤ ايار ٢٠٢٣.
https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/article/view/١٤٩

٢٨. هدى سليم رسول، الجنين ومراحله في ضوء القرآن الكريم، مجلة كلية التربية الاساسية، المجلد ٢٤- العدد ١٠٠، ٢٠١٨
https://cbej.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/cbej/article/view/٥٦٥٣/٦٢٠٦

٢٩. هند شلبي، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، تونس(١٤٠٦ه-١٩٨٥م).

٣٠. Fairal, Anthony, Large scale structure in the universe, Wiley-Praxisseries In. Britain, 1998, p 105-106..

٣١. http//www.kaheel7.com/ar/index.php/2010-02-02-20-06-04/838-2013-01-19-00-28-42..

٣٢. Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed. 1994, p 496..

Sources:

The Holy Quran.

Ibn Hajar (d. ٨٥٢AH), Fath al-Bari, 1- Commentary on Sahih al-Bukhari, Dar al-Ma'rifah for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, ٢nd edition.

Ibn Atiyyah al-Andalusi, Abu Muhammad Abd al-Haqq ibn Ghalib, d. ٥٤٦ AH, Al-Muharrar al-Wajiz fi 2- Tafsir al-Kitab al-Aziz, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut, Lebanon, ١٤١٣AH/ ١٩٩٣CE).

Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Wahidi al-Nisaburi al-Shafi'i (d. ٤٦٨AH), Al-

Tafsir al-Basit, edited by: The original edition was based on (١٥) doctoral dissertations at Imam Muhammad ibn Saud University. A scholarly committee from the university then edited and formatted it. Publisher: Deanship of Scientific Research - Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, ١st edition, ١٤٣٠ AH.

4- Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Habib al-Basri al-Baghdadi, known as al-Mawardi (d. ٤٥٠ AH), Al-Nukat wa al-Uyun, edited by Sayyid Ibn Abd al-Maqsud ibn Abd al-Rahim, Dar al-Kutub al-Ilmiyya - Beirut, Lebanon

5- Abu Ja'far al-Tabari (d. ٣١٠ AH), Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, edited by Ahmad Muhammad Shakir, Mu'assasat al-Risalah, first edition, ١٤٢٠ AH - ٢٠٠٠ CE

6- Abu Hayyan al-Andalusi al-Gharnati, Muhammad ibn Yusuf (٦٥٤-٧٥٤ AH), Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir, Dar al-Fikr (Beirut, Lebanon, ١٤١٢ AH - ١٩٩٢ CE), nine volumes, vol. ٣.

7- Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (d. ٦٧١ AH), Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, edited by Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfayish, Dar al-Kutub al-Misriyyah - Cairo, second edition, ١٣٨٤ AH / ١٩٦٤ CE

Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Qurtubi, d. ٦٧١ AH), Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, fifth edition, ١٤١٧ AH/ ١٩٩٦ CE, twenty-one volumes.

AH), Al-Ahmad ibn Hanbal (d. ٢٤١ Musnad, Dar Sader, Beirut, Lebanon.٩

Imam Abu Isa Muhammad ibn Isa al-Tirmidhi (d. ٢٧٩ AH), Sunan al-Tirmidhi, edited by Abd al-Wahhab Abd al-Latif, Dar al-Fikr, Beirut, Lebanon, second edition, ١٤٠٣ AH/ ١٩٨٣ CE.

11- Al-Bukhari, Sahih al-Bukhari, printed with Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari, Muhammad ibn Ismail, d. ٢٥٦ AH, Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, ١٤١٨ AH/ ١٩٩٧ CE.

AH), Anwar al-Al-Baydawi (d. ٧٩١ Tanzil wa Asrar al-Ta'wil, Dar al-Fikr, Beirut, ١٤١٦ AH. 12 ١٩٩٦ CE, five parts, Vol. ٣.

13 Hussein Yousef Rashid, The Seven Earths: The Mystery of Dark Matter, Al-Omari, Journal of the College of Knowledge University, Anbar, Issue ٦ (٢٠٠٤).

14 Haider Luay Jabbar, Man Before Origin and Existence, Journal of Philosophy, College of Arts, Al--A, ٢٩Mustansiriya University, Issue , ٢٠٢٤June https://fmm.uomustansiriyah.edu.iq/inde ٢٨/٣٠x.php/jphil/article/view/

15- The Creation of the Heavens and the Earth: Facts Proving that the Qur'an Does Not Contradict Science, A Comprehensive Scientific Encyclopedia .of Scientific Miracles Research

16 The Creation of the Heavens and the Earth: Facts Proving that the Qur'an Does Not Contradict Science, A Comprehensive Scientific Encyclopedia :of Scientific Miracles Research

17 ٦٨٦Radi al-Din al-Astarabadi, d. AH, Commentary on Ibn al-Hajib's , ١Kafiya, edited by Amil Ya'qub, Vol. .٣, ١٩٩٨Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut

18 Al-Shawkani, Fath al-Qadir al-Jami' bayna Fannay al-Riwayah wa al-Dirayah min 'Ilm al-Tafsir, Muhammad ibn 'Ali AH), 'Alam al- ١٢٥٠ibn Muhammad (d. .٥volumes, vol. ٥Kutub (n.d.),

19 Maher Ahmad al-Sufi, Al-Mawsu'ah al-Kawniyyah al-Kubra, Ayat Allah fi Khalq al-Kawn wa Nash'at al-Hayat, fi al-Sama' al-Dunya wa al-Samawat al- .'Sab

20 Muhammad al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad al-Tahir ibn 'Ashur al-Tunisi (d. AH), Al-Tahrir wa al-Tanwir, .١٩٨٤Tunisian Publishing House, Tunis,

Muhammad Jar Allah al-Sa'di, Al- . ٢١ .Nawafih al-'Atirah

Muhammad 'Abduh, Nahj al-Balaghah, . ٢٢ .Dar al-Ma'rifah, Beirut, Lebanon

23 ٦٠٤Muhammad Fakhr al-Din (d. AH), Al-Tafsir al-Kabir wa Mafatih al-Ghayb al-Mashhur bi Tafsir al-Fakhr al- ١٤١٤Razi, al-Razi, Dar al-Fikr, Beirut, .CE ١٩٩٣AH.

Mahmoud Salim Al-Hout, On the Path . ٢٤of Mythology Among the Arabs,., .CE, Beirut

25 Al-Siraj Center for Authorship, Research, and Translation, Lessons in Islamic Creed in Light of the School of .Ahl al-Bayt

AH), Sahih ٢٦١Muslim Al-Nisaburi (d. .Muslim, Dar Al-Fikr, Beirut, Lebanon ٢٦

27- Nada Sajid Hamid, The Phenomenon of Atheism: A Study in Light of the Narrations of Ahl al-Bayt (peace be upon them), Al-Mustansiriya th ٢٦Journal of Human Sciences,

Scientific Conference for Human and Educational Sciences, College of Education, May ٣-٤, ٢٠٢٣. https://mjh.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/mjh/article/view/١٤٩

28- Huda Salim Rasoul, The Embryo and Its Stages in Light of the Holy Qur'an, Journal of the College of Basic Education, Vol. ٢٤, No. ١٠٠, ٢٠١٨. https://cbej.uomustansiriyah.edu.iq/index.php/cbej/article/view/٦٢٠٦/٥٦٥٣

29 Hind Shalabi, The Scientific Interpretation of the Holy Qur'an: Between Theory and Application, Tunisia (١٤٠٦ AH - ١٩٨٥ CE).

30 Fairal, Anthony, Large-scale structure in the universe, Wiley-Praxisseries, In. Britain, , pp. ١٠٥-١٠٦.

٣١ http://www.kaheel٧.com/ar/index.php/٢٠١٠-٠٢-٠٢-٢٠٢٠-٠٦-٠٤/٨٣٨-٢٠١٣-٠١-١٩-٠٠

.

.com/ar/index.php/٧http://www.kaheel٢٠١٠-٠٢-٠٢-٢٠٢٠-٠٦-٠٤/٨٣٨-٢٠١٣-٠١-١٩-٠٠-٢٨-٤٢ ..

32 Zeilik, Michal, Astronomy the evolving universe, John Wiley and sons, New York, seventh ed. ١٩٩٤, p. ٤٩٦..